

من نوارر المخطوطات :

شرح المشكل من شعر أبي تمام

لأستاذ برهان الدين الداغستاني

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

في أواخر - سبتمبر سنة ١٩٤٦ كنت في حلب أنتظر قطار طوروس ، في طريقى إلى الموصل ، للقيام بتدريس اللغة العربية وآدابها في كلية الموصل ، فكلفني أحد الأصدقاء أن أبحث له عن بعض المخطوطات الواردة في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبى ، فأصف له بعضها وصفاً علمياً واضحاً ، وأبحث عن مؤاقي بعضها مما لا وجود له في كتاب الدكتور الجلبى .

وكان من تلك المخطوطات التي كتبها صديقي في ورقة صغيرة « شرح مشكلات أبي تمام » ، وكان المطلوب وصفه والتعريف بمؤلفه . ولما باقت الموصل ، واستقر بي المقام بها ، ذهبت أبحث عن « شرح مشكلات أبي تمام » ، فكان مما وقعت عليه : « كتاب شرح مشكلات ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائى مخطوط في ١٣٢ صفحة ، في كل صفحة ١٩ سطراً مكتوب بخط نسخي جميل بقلم محمد صالح الشريف ، ضبط الكثير من كلماته القريبة بالشكل الكامل . كتبت الأبيات المشككة من شعر أبي تمام بالمداد الأحمر ، والشرح بالمداد الأسود ، للتفريق بين المتن والشرح ، فرغ من كتابة هذه النسخة في ٢٤ من المحرم سنة ١١٥٦ هـ .

وهذا الكتاب مما أهداه السيد أحمد بك الجليل إلى النادي العلمى بالموصل في ٢٧ من شهر صفر سنة ١٣٣٧ هـ ، ولما أحمل النادي العلمى ضمت كتبه إلى المدرسة الإسلامية - الفيصلية العلمية الآن - وفي بعض الواضع تقييدات واستدراكات وتصحيحات لما ورد في الشرح بقلم صادق .

هذا كل ما أمكن الوقوف عليه في وصف كتاب « شرح

مشكلات ديوان أبي تمام » ، وأما موضوعه فإني أفضل أن أنقل إلى القارىء نص مقدمة المؤلف ليرى بنفسه أى كتاب هو هذا الذى نكتب عنه وهذه هي المقدمة « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وسلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم . جاريتنى - أيدك الله - امر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائى ، وما فيه من عووض الأبيات ، وبديع الماني والألغاز إلى غير ذلك مما يستبد به فله فلا يسام ؛ ويختص به نهجه فلا يقام ، ثم سألت أن اتبع مشاهير كتابه ، فالتقط من فقرها ما يفتقر إلى تبيين ، ومن بيوتها ما يهوج إلى تفسير ، ثم أنبج كلا منه بما يحتمل من تلخيص بأوجز ما أمكن من لفظ ، وأقرب ما أعرض من بسط . لتجمل ذلك دليلاً يهتدى إلى الاغمض من باقيه ، ومبيناً يهتدى إلى العطف ما فيه .

وقد نظرت في عظم ديوانه ، وجمت منه جل ما يلقي في المجالس من أبياته ، ثم تحريت في شرحها مسارك ، وتوخيت فيما سهل منه أو توغر تحصيل مرادك . غير محتفل بما يلحق من كد ، ولا مفكر فيما يمرض من تعب . حتى حصل على حد يملك الناظر فيه - مع أدنى تأمل له - عنان هذا الشعر وزمامه ، ويخبر الذاكر - بعد أيسر عرن به - غرض هذا الشاعر وسهامه . فتى جارى فيه سبق ، وإذا نامل به قرطس .

وأته أسأل التوفيق ، وإياه أعبد واستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل » .

هذا هو وصف كتاب شرح مشكلات شعر أبي تمام من حيث شكله ، وهذه هي مقدمته التي تبين عن موضوعه وتشرحه ، ولكن بقى شئ آخر لم نعرفه إلى الآن وهو من هو مؤلف هذا الكتاب ؟ .

الواقع أن هذا السؤال لا يزال بلا جواب إلى الآن . فإني قرأت الكتاب ولغمت كل جوانبه وحواشيه ، فلم أجد أية إشارة إلى اسم مؤلفه ، فاخذت أسأل كل من آتس فيه المعرفة من أسدقائي ومعارفي ، فلما أهيتني الحيلة كتبت كتاباً إلى الأستاذ

الاختيار . وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة ، وكان قد قرأ كتاب سيبويه على أبي علي الفارسي ، وتلذذ له بمد أن كان رأساً بنفسه ، وله من الكتب : كتاب شرح الحماسة أجاد فيه جداً ، كتاب شرح الفضليات ، كتاب شرح الفصيح ، كتاب شرح أشعار هذيل ، كتاب الأزمنة ، كتاب شرح الوجز ، كتاب شرح النحو ؛ ثم ينقل ياقوت عن الأبيوردي أن المرزوق كان يتفاحص في تصانيفه كابن جني ، وأنه كان معلم أولاد بني بويه بامسبهان ، ودخل عليه صاحب بن عباد ، فقام له ، فلما أفضت الوزارة إلى صاحب جفاء .

ثم نقل عن ابن مندة أن المرزوق توفي في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . هذه خلاصة وافية من ترجمة المرزوق التي ذكرها ياقوت ، ونقل السيوطي في بنية الوعاة بعض ما ذكره ياقوت من غير أن يزيد عليه شيئاً .

وقد لاحظت أن كتاب شرح مشكلات ديوان أبي تمام لم يذكر في كتبه التي أوردها ياقوت في إرشاد الأريب والسيوطي في بنية الوعاة .

ولما عدت إلى القاهرة في أواخر سبتمبر سنة ١٩٤٧ سارعت بالذهاب إلى مكتبة الجامعة المصرية ، فوجدت الصورة الشمسية لكتاب شرح مشكل ديوان أبي تمام - وهو رقم (٤٨ - ٢٤) أدب معارة للأستاذ عبده عزام أحد مدرسي كلية الآداب في الجامعة المصرية لأن الأستاذ عبده عزام يشغل من أمد بعيد في إخراج شرح التبريزي لديوان أبي تمام إخراجاً علياً .

فبمقتى بقطعة من نسخة الموصل لمقارنتها بالصورة الشمسية التي لدى الأستاذ عزام بواسطة الصديق الكريم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب الموظف بالقسم الثقافي بالجامعة العربية ، وظهر من المقارنة أن النسختين لكتاب واحد هو شرح مشكل ديوان أبي تمام كما ظهر أنه لا دليل على أن الكتاب للمرزوق إلا ما كتب على ظهر نسخة الأستانة .

ولكن هل تكفي هذه الكتابة التي على ظهر نسخة الأستانة لإثبات أن الكتاب للمرزوق ، مع أن مترجمي المرزوق لم يذكروا في كتبه اسم هذا الكتاب ؟ وما قوى

كوركيس هواد الموظف بمكتبة المتحف العراقي ببغداد ، أنشرح له خبر المتور على هذه التحفة الفنية ، وأسأله إن كان يعرف شيئاً عن مؤلف هذا الكتاب ، فكتب إلى كتاباً مؤرخاً في ٢٢ - ١٠ - ١٩٤٦ يقول فيه : ... أما شرح مشكلات أبي تمام ، فقد تملكني الفرح لوقوفكم على نسخة منه . بحثت كثيراً عن هذا الكتاب ، وراجعت فهرس المخطوطات العربية لمخزائن الكتب المختلفة في بلدان الشرق والغرب اغير أنني لم أجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، فضلاً عن معرفة مؤلفه ! الخ والأستاذ كوركيس عواد رجل عرف بالدقة والأمانة فيما يتناول من عمل ، فهو عندما يقول : إنه لم يجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، يقول ذلك بعدما استقرغ الجهد في البحث والدرس - ولكن هل يكون هذا مثبطاً لمزى ، واقطم الأمل في معرفة المؤلف ؟

وذاث يوم كنا نتجاذب الحديث على شاطئ دجلة مع نفر من كرام رجال التعليم في الموصل ، فاخبرني الأستاذ الصديق السيد عبد النافع حكيم أنه قرأ - فيما قرأ - أن كتاب شرح مشكلات أبي تمام هو للمرزوق ، وينسب على الظن أنه قرأ هذا في مقدمة أخبار أبي تمام للصولي الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة .

ولما رجعت إلى مقدمة أخبار أبي تمام للصولي ، وجدت أن الناشرين ذكروا فيها أن للمرزوق كتاباً باسم شرح المشكل من شعر أبي تمام ، وأن في مكتبة الجامعة المصرية صورة شمسية من هذا الكتاب مأخوذة عن أصل محفوظ في الأستانة .

وإلى هنا استطعت أن أمسك بأول الخيط في سبيل معرفة مؤلف هذا الكتاب ، ولكن لا سبيل إلى المضي في البحث أو الجزم بنسبة كتابنا الذي بين أيدينا إلى المرزوق حتى نرى نسخة الجامعة المصرية ، ونقارن بينها وبين نسختنا لتعرف هل هما كتاب واحد أم لا ؟ فلتترك هذا الآن لتبحث عن المرزوق هذا من هو ؟

يقول ياقوت الحموي في إرشاد الأريب - ج ٥ ص ٣٤ -
٣٥ - : أحمد بن محمد بن الحسن المرزوق ، أبو علي من لمسبهان كان غاية في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن

في الانتصار لأبي تمام من ظلمته « فكان هذا نصاً مريباً من ابن السنوني الأربلي المتوفى بعد الرزوقي بنحو مائتي سنة باب للرزوقي كتابين - غير الكتب التي ذكرها ياقوت والسيوطي هما : « شرح المشكل » و « الانتصار » .

ويذكر ابن السنوني في مقدمة كتابه أنه ينقل في كتابه نصوص الكتب التي اعتمد عليها فراجعت إلى كتاب « النظام » وقابلت ما نقله بن السنوني عن الرزوقي بالنسخة المطبوعة التي استنسخها عن نسخة الموصل لشرح مشكل ديوان أبي تمام ، فوجدت النصوص متحدة لا تزيد حرفاً ولا تنقص حرفاً .

وبعد فإني - الآن - أستطيع الجزم - وأنا مطمئن القلب - بأن كتاب « شرح المشكل من شعر أبي تمام » المحفوظ في خزانة المدرسة الفيصلية العلمية بالموصل هو لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن الرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، وأن لهذا الكتاب نسخة في إحدى مكاتب الآستانة وصورة شمسية في مكتبة الجامعة المصرية ، ونسخة أخرى مدرجة في كتاب « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام » لابن السنوني الأربلي .

وأرجو أن أكون وقفت ببعض التوفيق في وصف كتاب شرح المشكل من شعر أبي تمام والتعريف بمؤلفه .

برهان الربيع الراغستاني

طبعة الرسالة

تقدم إلى عشاق الأدب

وحي الرسالة

في مجلدين

يطلب من دار الرسالة

ومن المكتبات الشهيرة ثمن كل مجلد ٥ قرشاً هذا البريد

هذا الشك في نسبة هذا الكتاب إلى الرزوقي أن صاحب كشف الظنون أيضاً لم يمرض لذكر هذا الكتاب مع أنه ذكر كتاباً آخر للرزوقي لم يذكره مترجموه . وهو كتاب « الانتصار لأبي تمام من ظلمته » وهو - كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٣٢١ - كتاب ألّفه الرزوقي في الرد على كتاب لأحمد بن عبيد الله القطريلي المعروف بالفريد أظهر فيه أخطاء أبي تمام في الأسلوب وغيره .

ليس من الممكن أن يكون كتاب « شرح مشكلات ديوان أبي تمام » الذي بين أيدينا هو كتاب « الانتصار لأبي تمام من ظلمته ؟ » وهذا شك جديد يلحق ظله على اسم الكتاب الذي نحن بصدده غير أنني اطلمت أخيراً في دار الكتب المصرية على كتاب « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام »^(١) لأبي البركات المبارك بن أحمد بن السنوني الأربلي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ فوجدت أنه يذكر في المقدمة الكتب التي اعتمد عليها في شرح ديوان أبي تمام إلى أن يقول : « وعلى كتابي أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن الرزوقي ، أحدهما في شرح مشكل أبياته المفردة ، والآخر

(١) هنا هو اسم كتاب ابن السنوني الأربلي الذي شرح فيه ديوان المتنبي وأبي تمام كما ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة ابن السنوني والحاج خليفة في كشف الظنون في أثناء الكلام على شروح ديوان أبي تمام . وهو كتاب ضخيم جمع فيه مؤلفه عدة شروح لكل من الديوانين ، وهو ينقل نصوص الكتب التي اعتمد عليها من غير تصرف ، وهو يصحح - على ما ذكره ابن خلكان والحاج خليفة - في عشر مجلدات كبير ، وفي دار الكتب المصرية من هذا الكتاب ثلاث نسخ ناقصة تنتهي ثلاثها عند حرف الالف من شعر المتنبي وأبي تمام وأولى هذه النسخ تحت رقم (٥٢١) أدب الموجود منها ثلاث مجلدات مخطوط بقلم معناد . إلا أنه سمي في فهرس دار الكتب المصرية - ج ٣ ص ٢١٩ - شرح المشكل ، ونسب إلى الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ استناداً إلى ما وجد على ظهره من أنه للخطيب التبريزي ، مع أن اسم مؤلفه المبارك ابن السنوني الأربلي واضح صريح في مقدمة الكتاب لو أن واضع الفهرس عنى نفسه شففة قراءة المقدمة .

والنسخة الثانية والثالثة من هذا الكتاب صورتان فتوغر فبتان مأخوذتان عن أصل مكتوب بلم نأرسى يظن أنه مكتوب في القرن الثاني عشر الهجري ينتهي ما فيها إلى أثناء حرف الالف في ٢٨٦ لوحة وكل لوحة بها سفتان ورقهما (١٠٥٩٢، ١٦٤٠) أدب ، وماتان النسختان منسورتان إلى ابن السنوني المؤلف الحقيقي ، ولكن اسمها لا يزال مطوياً إذ بني مثل اسم اللوحة الأولى : شرح المشكل ١ ..